

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ
بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا
يَغِيظُ﴾ (١٥) [الحج: 15]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

اختلف في مناسبة الآية لما قبلها اختلافاً مبنياً على الاختلاف في معناها، والاختلاف فيمن نزلت في حقه؛ فقيل: لما أتم سبحانه الدليل على خسران المنقلب، ورجح الثابت، وكان ذلك مفهوماً أن من رجاه لما وعد به بادر إلى الإقبال عليه، ولم ينفع إلا نفسه، ومن لم يرج ذلك أعرض عن الله سبحانه، فلم يضُرَّ إلا نفسه؛ ترجم عن حال هذا الثاني العابد على حرف بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية⁽¹⁾، وقيل: بعد أن ذكر حال المجادل بالباطل، ثم بين ما يؤول إليه أمره، من النكال في الدنيا، والخزي في الآخرة، ثم ذكر مشاييعه وعمم خسارهم في الدارين، وأردف ذلك ذكر حال المؤمنين، وما يلقونه من السعادة والنعيم في الدار الآخرة؛ أتبع ذلك بذكر المجادل عن دين الله بالتي هي أحسن، وهو رسول الله ﷺ، وبالغ في إثبات نصره بما لا مزيد عليه⁽²⁾.

وقيل: لما بين سبحانه أنه يفعل ما يريد، وكان من جملة ذلك أنه إن نزل بأحد سوء فلن يستطيع أحد أن يغيره، وإن نال أحد نفعه فلن يمنعه أحد، وإن أراد نصرة من غيره فلن تكون إلا بإرادة الله؛ قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية⁽³⁾.

الرَّيْبُ بَيْنَ
الْجُزْأَيْنِ فِي الْآخِرَةِ
وَالنَّصْرُ الْمَمْدُودُ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْوَدُودِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 21.

(2) الراغب، تفسير الراغب: 17 / 97.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9 / 4956.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: المعنى المحوري للأصل (مدّ) جَرُّ شَيْءٍ فِي طَوْلِ، وَاتِّصَالَ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ⁽¹⁾، فَيَزِيدُهُ طَوْلًا وَاسْتِمْرَارًا أَوْ قَدَرًا⁽²⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمْدُهُ مَدًّا، وَمَدَّ النَّهْرَ نَهْرًا آخَرَ: زَادَ فِيهِ وَوَاصَلَهُ، وَأَمَدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ، وَمَدَدْتُ الْإِبِلَ مَدًّا: أَسْقَيْتُهَا الْمَاءَ بِالذَّقِيقِ أَوْ بِشَيْءٍ تَمِدُّهُ بِهِ⁽³⁾، وَرَجُلٌ مَدِيدٌ الْقَامَةِ، أَي: طَوِيلُ الْقَامَةِ⁽⁴⁾، وَالْمُدَّةُ: الْوَقْتُ الْمَمْتَدُّ⁽⁵⁾.

(2) ﴿بِسَبَبٍ﴾: (سبب) الْمُكَرَّرَةُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ وَامْتِدَادٍ⁽⁶⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: السَّبَبُ، وَهُوَ الْحَبْلُ⁽⁷⁾، وَجَمْعُهُ: أَسْبَابٌ⁽⁸⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أَي: بِحَبْلِ⁽⁹⁾، وَسُمِّيَ كُلُّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ سَبَبًا، عَيْنًا كَانَ أَوْ مَعْنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَائِنَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾⁽¹⁰⁾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا⁽¹¹⁾، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ آتَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَعْرِفَةً وَذَرِيعَةً، يَتَوَصَّلُ بِهَا، فَاتَّبَعَ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ﴾⁽¹²⁾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ⁽¹³⁾ [غافر: 36 - 37]، أَي: لَعَلِّي أَعْرِفُ الذَّرَائِعَ الْحَادِثَةَ فِي السَّمَاءِ، فَاتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَدْعِيهِ مُوسَى، وَوُصِفَ الطَّرِيقُ بِالسَّبَبِ؛ لِأَنَّهُ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَا بَعْدَهُ⁽¹⁴⁾.

(3) ﴿لَيَقْطَعْ﴾: المعنى المحوري للأصل (قطع) فصل وإبانة شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ⁽¹¹⁾، سِوَاءَ كَانَ الشَّيْءُ مُدْرَكًا بِالْبَصَرِ كَالْأَجْسَامِ، أَوْ مُدْرَكًا بِالْبَصِيرَةِ كَالْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ، قَالَ جَلُّ شَأْنُهُ فِي قَطْعِ الْأَعْضَاءِ: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾⁽¹²⁾ [الأعراف: 124]، وَقَالَ فِي قَطْعِ الْأَرْحَامِ: ﴿وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾⁽¹³⁾ [محمّد: 22]، وَقَطَعُهَا يَكُونُ بِالْهَجْرَانِ وَمَنْعِ الْبِرِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾⁽¹⁴⁾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لَيَقْطَعُ حَبْلَهُ حَتَّى يَقَعَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَيَقْطَعُ أَجَلَهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مدد).

(2) جبل، للعجم الاشتقاق: (مدد).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مدد).

(4) الجوهري، الصحاح: (مدد).

(5) السمين، عمدة الحفاظ: (مدد)، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 295/3.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سب)، وجبل، للعجم الاشتقاق: (سبب).

(7) الخليل، العين: (سبب).

(8) الجوهري، الصحاح: (سبب).

(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 22/12.

(10) الزاغبي، للمفردات: (سبب)، والسمين، عمدة الحفاظ: (سبب).

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطع)، وجبل، للعجم الاشتقاق: (قطع).

بالاختناق، وقَطَعَ الأمر: فَصَلَّهُ، ومنه قوله: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾
[النمل: 32] وقَطَعَ دابر الإنسان: إِفْنَاءُ نَوْعِهِ، قال سبحانه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ
الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: 45]⁽¹⁾.

(4) ﴿كَيِّدُهُ﴾: (كيد) أصل يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بشِدَّةٍ، وكلُّ شيءٍ تُعَالِجُهُ فَأَنْتَ تَكِيدُهُ، فَالْكَيْدُ: صِيَاحُ الْغُرَابِ بِجَهْدٍ، وَالْكَيْدُ: أَنْ يُخْرِجَ الزَّنْدَ النَّارَ بَبْطَاءٍ وَشِدَّةٍ⁽²⁾، ويقال: رَأَيْتُهُ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ، أَي: يُقَاسِي الْمَشَقَّةَ فِي نَزْعِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ⁽³⁾، وَالْكَيْدُ: ضَرْبٌ مِنَ الْاِحْتِيَالِ، وقد يكونُ مَذْمُومًا وممدوحًا، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾^(١٨٣) [الأعراف: 183]، وقال: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: 76]، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَذْمُومِ أَكْثَرَ⁽⁴⁾.

(5) ﴿مَا يَغِيْظُ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (غيظ) حرارةٌ شديدةٌ تمتدُّ في جوفٍ فتَعْمُهُ⁽⁵⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْغَيْظُ: أَشَدُّ الْغَضَبِ، وهو الحرارةُ الَّتِي يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ مِنْ قَوَارِنِ دَمٍ قَلْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: 119]، وَقَالَ: ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29]⁽⁶⁾، وَالْغَيْظُ أَخْصُّ مِنَ الْغَضَبِ؛ فَكُلُّ غَيْظٍ غَضَبٌ، وَلَيْسَ كُلُّ غَضَبٍ غَيْظًا⁽⁷⁾، وَيُقَالُ: تَغَيَّظَتِ الْهَاجِرَةُ، وَفُلَانٌ يُغَايِظُ صَاحِبَهُ فِي الْعَمَلِ، أَي: يُبَارِيهِ وَيُغَالِبُهُ⁽⁸⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ

الشَّاكُّ فِي نَصْرِ
الهِ لِنَبِيِّهِ لَا
يَزِيلُ غِيْظَهُ قِطْعَ
حَبْلِ مُرْبُوطٍ فِي
السَّمَاءِ

- (1) الراغب، المفردات: (قطع).
- (2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كيد).
- (3) الزَّمَخْشَرِيُّ، أساس البلاغة: (كيد).
- (4) الزَّائِج، المفردات: (كيد).
- (5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غيظ).
- (6) الزَّائِج، المفردات: (غيظ).
- (7) السَّيَمِين، عمدة الحفاظ: (غيظ).
- (8) الزَّمَخْشَرِيُّ، أساس البلاغة: (غيظ).

يَتَّبِعِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَيُّسُوا مِنْ تَحَقُّقِ وَعْدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاسِخِينَ الْوَاثِقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُنْجِزَ وَعْدَهُ بِنَصْرِهِ أَوْ بِنَصْرِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَرْبِطْ حَبْلًا بِالسَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْهُ، فَيَسْقُطَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَتَمَزَّقَ كُلُّ مُمَزَّقٍ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُ فَعْلُهُ شَيْئًا مِنْ إِزَالَةِ غَيْظِهِ.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة موقع الآية مما قبلها:

الآية استئناف
ابتدائي أو تذييل
تظهر بلاغته
في التصوير
والتَّمثيل

يَحْتَمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾... الآية، أَنْ يَكُونَ اسْتِنْفَافًا ابْتِدَائِيًّا، أُرِيدَ بِهِ ذِكْرُ فَرِيقٍ ثَالِثٍ، غَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، وَهَذَا الْفَرِيقُ الثَّالِثُ جَمَاعَةٌ أَسْلَمُوا وَأَيُّسُوا مِنْ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَاظَهُمْ تَعَجُّلُهُمْ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَذِيلًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾... الآية، بَعْدَ أَنْ اعْتَرِضَ بَيْنَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ بِجُمْلٍ أُخْرَى، فَيَكُونُ الْمُرَادُ: أَنَّ الْفَرِيقَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، وَالْمُخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾، هُمْ قَوْمٌ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِنْ بَقُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَمَّا ظَنُّهُمْ انْتِفَاءَ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، فَلَأَنَّهُمْ قَدْ أَيُّسُوا مِنَ النَّصْرِ اسْتِبْطَاءً، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ، وَلِذَلِكَ عُلِّقَ فِعْلُ ﴿لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛ إِيمَاءً إِلَى كَوْنِهِ مُتَعَلِّقَ الْخُسْرَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾؛ فَإِنَّ عَدَمَ النَّصْرِ خُسْرَانٌ فِي الدُّنْيَا بِحُصُولِ ضِدِّهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِاسْتِحَالَةِ وَقُوعِ الْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، حَسَبَ اعْتِقَادِ كُفْرِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ مُتَرَدِّدُونَ.

وبترجّح هذا الاحتمال بتغيير أسلوب الكلام، فلم يُعْطَفَ بالواو كما عُطِفَ قوله: ﴿وَمِنْ آلِثَّائِسٍ مَّنْ يَعْبُدُ﴾، ولم تُورَدَ فيه جملة ﴿وَمِنْ آلِثَّائِسٍ﴾ كما أُورِدَتْ في ذكر الفريقين السابقين، ويكون المقصود من الآية تهديد هذا الفريق، فيكون التعبير عن هذا الفريق بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ﴾ الآية إظهاراً في مقام الإضمار؛ فإن مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير ذلك الفريق، فيقال بعد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ الآية عائداً الضمير المستتر في ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ على مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ، والعُدُولُ عن الإضمار إلى الإظهار لوجهين: أحدهما: بُعد مرجع الضمير، وثانيهما: التثنية على أن عبادته الله على حرفٍ ناشئة عن ظنه أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة، إن صمّم على الاستمرار في اتباع الإسلام؛ لأنه غير واثق بنصر المسلمين.

وضمير النصب في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ عائداً إلى مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ، على كلا الاحتمالين. ويحتمل أن تكون الآية استئنافاً ابتدائياً، لذكر فريق آخر يشبه مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ على حَرْفٍ، وهم فريق أسلموا في فترة ضعف الإسلام، وأيسوا من النصر، فضاعت صدورهم، فخطر لهم خواطر شيطانية، أن يتركوا الإسلام ويرجعوا إلى الكفر، فزجرهم الله وهذّدهم بأنهم إن كانوا آيسين من النصر في الدنيا، ومُرتابين في نيل ثواب الآخرة، فإن ارتدادهم عن الإسلام لا يضر الله ولا رسوله، وإن أرادوا فليختنقوا فينظروا هل يُزِيلُ الاختناق غيظهم، وهؤلاء من المنافقين، وعلى هذا الوجه يمكن أن يكون ضمير ﴿يَنْصُرُهُ﴾، عائداً إلى رسول الله ﷺ (1).

دلالة ﴿مَنْ﴾ على الشرطية في الآية الكريمة:

تحتمل ﴿مَنْ﴾ في قول الحق ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾، أن تكون شرطية، وقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ جزاء للشرط، وهذا هو الظاهر، وتحتمل أن تكون موصولة، وقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ خبر للموصول، والفاء للتشبيه بالشرط (2)، والمعنى: (مَنْ كان منهم يظن أن الله تعالى لن ينصر نبيه ومصطفاه، فليبادر إن شاء إلى خنق نفسه بحبل ممدود إلى السقف، وليقطع نصر الله، ثم لينظر بعد ذلك في نفسه، هل يذهب احتياله هذا في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217 / 220.

(2) السمين، الدر اللصون: 241 / 8، وزاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 95 / 6.

عهد على الله
نصر رسوله
الأمين ورسله
والمؤمنين

الدلالة على
استمرار الظن
كما هو دأب
المنافقين

اختيار الفعل
المناسب
لزيادة التقبيح
والتشنيع

المضارّة والمضادّة، ما يغيظه من النّصرة؟)، والجواب: كلّاً؛ فإنّ الله سوف ينصر رسوله لا محالة، وهو وعد غير مكذوب، قد قطعه على نفسه علام الغيوب، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: 51] (1).

نكتة التعبير بـ ﴿كَانَ﴾ والفعل المضارع ﴿يُظُنُّ﴾:

يدلّ التعبير بـ ﴿كَانَ﴾ مع الفعل المضارع في قوله جلّ من قائل: ﴿مَنْ كَانَ يُظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ على التّجدّد والاستمرار في هذا الظنّ الفاسد الذي لا يستند إلى شيء، وأنّه أصبح عادةً وديناً لصاحبه، أي: مَنْ كَانَ يُظُنُّ مُسْتَمِرّاً في ظنّه الذي لا يصدّق أنّ لن ينصره الله إلخ (2)، ويتأكد هذا المعنى على وجه كون الآية عائدة على فريق المنافقين المذبذبين في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، فالمرتابون المشكّكون هم دائماً في سوء ظن بالله تعالى ووعد سبجانه.

علة التعبير بالفعل ﴿يُظُنُّ﴾ في السياق:

عبر بالظنّ في قول الحقّ جلّ ذكره: ﴿مَنْ كَانَ يُظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾؛ لزيادة التّقييح والتّشنيع على مَنْ تتحدّث عنه الآية، ببيان أنّ يأسؤه من النّصر مبنيّ على ظنّ فاسدٍ، لا اعتبار له، ولا اعتداد به (3). "وهذا زجر للكمّفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه، فإنّ أعداءه ﷺ، كانوا يتمنّون ألاّ ينصره الله، وألاّ يعليه على أعدائه، فمتى شاهدوا أنّ الله نصره غاظهم ذلك" (4)، وعليه فظنّهم خائب، وكيدهم زائل، ولا يستطيعون تغيير قدر الله تعالى، بإرسال الرّسل بالبينات، وحمايتهم وتأبيدهم بالآيات والمعجزات.

(1) القاسمي، : محاسن التأويل: 237 / 7.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4956 / 9.

(3) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 9738 / 16.

(4) الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 62 / 2.

فائدة استعمال نفي الاستقبال بـ﴿لَنْ﴾:

يدلُّ استعمالُ حرفِ النَّفْيِ ﴿لَنْ﴾، في قولِ الحقِّ سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ على أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ انتفاءَ النَّصْرِ في المستقبلِ كما في الحاضرِ، فهم يَأْسُونَ مِنَ النَّصْرِ، لا يرونَ لَهُ علاماتٍ في زَعْمِهِمْ، وهذا يتناسب مع حال الظنِّ المتلبِّسِ للمناقضين، فإنهم لا يظنون بالله إلا ظنَّ السوء، ولا يرجون توفيقه لعدم تعلق قلوبهم به سبحانه، والسياق راد لظنهم، موضح للمراد، فالمعنى أَنَّهُ تعالى ناصر لرسوله ﷺ في الدُّنيا بإعلاء كلمته، وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، وإدخال من صدَّقه جنَّات تجري من تحتها الأنهار، والانتقام ممَّن كَذَّبَهُ، وإذاقته عذاب الحريق، لا يصرفه سبحانه عن ذلك صارف، ولا يعطفه عنه عاطف⁽¹⁾.

بلادة الطِّبَاقِ بالجمع بين ﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿وَالْآخِرَةِ﴾ في الآية:

جُمِعَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، في قولِهِ سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾؛ لما في الجمع بينهما من براعة الطِّبَاقِ، وبيان أنَّ يَأْسَهُمْ مِنَ النَّصْرِ مُسْتَعْرِقٌ لزمانين هما الدُّنيا والآخرة، وهذا من جهلهم بالله وسوء ظنِّهم به جل في علاه.

غرض الأمر في قوله سبحانه: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾:

إِنَّ كَانَ المرادُ بالسَّمَاءِ في قوله سبحانه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ السَّمَاءَ المعروفة كما هو الظاهر؛ فالأمرُ في ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ للتعجيز، وتعليقُ الجوابِ على حصولِ شرطٍ لا يقعُ، كقوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْحَيَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرحمن: 33]⁽²⁾؛ لأنَّه لا يستطيعُ أحدٌ أن يربطَ حبلاً في السَّمَاءِ، كأنَّه يقولُ لَهُمْ: حتَّى إِنْ أَرَدْتُمْ شَقَّ أَنْفُسِكُمْ فلن تستطيعوا،

نفي النصر في المستقبل تأكيد لزيغ ظنهم

الجمع بين الدنيا والآخرة استغراق لزمان الحياة العاجلة والأجل كليهما

بيان أن الأمر للتعجيز أو لإلهانة مستخدم في إطار المثال المقترح

(1) الألوسي، روح المعاني: 9/ 121.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 219.

وسوفَ تَظَلُّونَ هَكَذَا بَغْيَظِكُمْ⁽¹⁾، وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِالسَّمَاءِ سَقْفَ الْبَيْتِ فَالْأَمْرُ لِلْإِهَانَةِ⁽²⁾.

نكتة استخدام الباء في قوله: ﴿بِسَبَبٍ﴾:

الباء من حروف
المعاني ذات
الأهمية في دلالة
الجملة

الباء في قولِ الله ﷻ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ صَلَّةٌ، فالمعنى: (فليمدد سبباً إلى السماء)، أو للإصاقِ على معنى: (فليتمسك بسببٍ إلى السماء)⁽³⁾، وعن ابن عطية: "وقال ابن زيد السماء هي المعروفة، وذهب إلى معنى آخر، كأنه قيل لمن يظن أن الله تعالى لا ينصر محمداً ﷺ: (إن كنت تظن ذلك، فامدد بسببٍ إلى السماء واقطعه، إن كنت تقدر على ذلك، فإن عجزت، فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد ﷺ، إذ نصرته من هنالك، والوحي الذي يأتيه)"⁽⁴⁾.

سر تنكير لفظ ﴿بِسَبَبٍ﴾ في الآية الكريمة:

إيراد السبب
عاماً يتضمّن كلَّ
جنس السبب
بلا تخصيص

التنكير في قوله ﷻ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ للإفراد، أي: فليمدد بفردٍ من أفراد الجنس، المُسمّى بالسببِ إلى السماء، إذ ليس القصدُ إلى سببٍ مُعيّن، دون باقي الأسباب.

دلالة حرف العطف في قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾:

حرفُ العطفِ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله عزّ وتبارك: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾ للتّراخي الرّتبّي⁽⁵⁾، وذلك أنّه لما كان مدّه سبباً إلى السماء مُتَعَذِّراً؛ عبّر عمّا يتفرّع عليه بأداة التّراخي⁽⁶⁾.

معنى القَطْع في قوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾:

قيل: المرادُ بالقَطْع في قوله تبارك شأنه: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعُ﴾: الاختناق؛

القَطْعُ على
ظاهره أو بمعنى
الاختناق

(1) السّعراويّ، تفسير السّعراويّ: 9739 / 16.

(2) الطّبيّ، فتوح الغيب: 455 / 10.

(3) اطفيش، تفسير اطفيش: 297 / 6.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 111 / 4.

(5) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 29 / 13.

(6) البقاعيّ، نظم الدرر: 21 / 13.

لأنَّ الْمُخْتَنِقَ يَقْطَعُ نَفْسَهُ بِحَبْسِ مَجَارِيهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: قَطَعَ فُلَانٌ: إِذَا اخْتَنَقَ⁽¹⁾، فَذِكْرُ اللَّازِمِ، وَهُوَ الْقَطْعُ، وَأُرِيدَ الْمَزُومُ، وَهُوَ الْاِخْتِنَاقُ، فَيَكُونُ مَجَازًا مُرْسَلًا أَوْ كِنَايَةً⁽²⁾.

وقيل: المرادُ بِالْقَطْعِ: معناه الظاهرُ، وهو الفصلُ والإبانةُ، ومفعولُ ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ﴾ محذوفٌ؛ لدلالة المقامِ عليه، والتقديرُ: (ثُمَّ لَيَقْطَعَنَّ)، أي: ليقطع السببَ الَّذي مدَّهُ⁽³⁾.

دلالة إعراب جملة: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾:

الجملة الاستفهامية في قول الحق سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ في محل نصبٍ على إسقاط الخافض؛ لأنَّ النَّظَرَ إذا عُلِّقَ بالاستفهام كان بمعنى الفكر، وإذا كانَ بمعنى الفكر تعدَّى بـ (في)⁽⁴⁾، والمعنى: (فَلْيَنْظُرْ في أَنَّهُ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ).

غرض الاستفهام في قوله: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾:

قيل: الاستفهام في قوله سبحانه: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ بمعنى النَّفْيِ، ولذا كانتْ نونُ التَّوكِيدِ في الفعلِ، وهي تَجِيءُ في الفعلِ المنفِيِّ؛ تَأْكِيدًا لِلنَّفْيِ، وهذا تَأْكِيدٌ فَوْقَ تَأْكِيدِ النَّفْيِ بِمَجِيئِهِ بِصِيغَةِ الاستفهام⁽⁵⁾، وقيل: الاستفهامُ لِلتَّقْرِيرِ؛ لَيُقَرَّرُوا هُم بَأَنْفُسِهِمْ أَنَّ غَيَظَهُمْ سَيُظْلُّ كَمَا هُوَ، لَا يَشْفِيهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ بِغَيَظِهِمْ⁽⁶⁾.
وقيل: الاستفهامُ إنكاريٌّ⁽⁷⁾.

بلغة التعبير عن المدِّ والقَطْعِ بالكَيْدِ:

سَمِيَ الْمَدُّ وَالْقَطْعُ كَيْدًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا

أهمية النَّصِبِ
على إسقاطِ
الخافضِ في
الجملة

احتمالُ
الاستفهامِ عِدَّةَ
معانٍ تَوْسَعُ في
الدَّلالةِ مفيد

الكلامُ على
سبيل التَّشْبِيهِ
أو التَّهَكُّمِ مِنْ
البيانِ الفصيح

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 147/3، وَالطَّبَّيِّي، فَتُوحُ الْغَيْبِ: 10/454.

(2) الْقَوْنُو، حَاشِيَتُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ: 13/29.

(3) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 17/219.

(4) السَّمِين، الذَّرْ لِلصَّوْنِ: 8/242.

(5) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 9/4957.

(6) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 16/9741.

(7) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 17/221.

يَغِيْظُ: لَأَنَّهُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْكَيْدِ، حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ، فَأُطْلِقَ الْكَيْدُ عَلَى فَعْلِهِ هَذَا تَشْبِيْهًا لَهُ بِهِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكِدْ بِهِ إِلَّا نَفْسَهُ، وَالْمَرَادُ: لَيْسَ فِي يَدِهِ إِلَّا مَا لَيْسَ بِمُذْهِبٍ لِّمَا يَغِيْظُهُ⁽¹⁾.

دلالة ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا يَغِيْظُ﴾:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيْظُ﴾، يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (الَّذِي)، وَفِي «يَغِيْظُ» عَائِدٌ عَلَيْهَا، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدَهُ الَّذِي يَغِيْظُهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةً، فَلَا عَائِدٌ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: (هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدَهُ غِيْظُهُ)⁽²⁾.

سرُّ توالي الأوامر في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ... ﴿لَيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾:

لَمَّا كَانَ سِيَاقُ الْكَلَامِ لِإِظْهَارِ ضَعْفِ رَأْيِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ جِيءَ بِأَوَامِرٍ مُّتتَالِيَةٍ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَتَبَارَكَ: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ﴾؛ لِلْمُبَالِغَةِ فِي التَّكْبِيْثِ وَالتَّعْجِيزِ؛ فَفَهَمَا فَعَلَ وَمَهْمَا كَادَ مِنَ الْكَيْدِ فَأَمَرَ اللَّهُ مُحَقِّقًا، وَنَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ وَاقِعًا، وَهُوَ سَبْحَانَهُ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ.

براعة الإيجاز في الآية الكريمة:

قِيلَ: فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبْنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيْظُ﴾ اختصارًا، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ رُسُلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ خِلَافَ ذَلِكَ، وَيَغِيْظُهُ أَنَّهُ ﷻ يَظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ؛ فَلْيَسْتَفِرِّغْ مَجْهُودَهُ فِي إِزَالَةِ مَا يَغِيْظُهُ، بِأَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ مَنْ بَلَغَ مِنْهُ الْغَيْظُ كُلَّ مَبْلَغٍ، حَتَّى مَدَّ حَبَالًا إِلَى سَمَاءِ بَيْتِهِ فَاخْتَقَ، فَلْيُصَوِّرْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ، هَلْ يُذْهِبُ نَصَرَ اللَّهِ الَّذِي يَغِيْظُهُ؟⁽³⁾.

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 147/3، وَالْخَفَاجِيُّ، عَنَايَةُ الْقَاضِي: 286/6.

(2) ابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 584/18، وَابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزَرُّ الْوَجِيزُ: 112/4.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 147/3.

احتمال (ما)
للموصولية
والمصدرية ثراء
وتنوع

المبالغة في
التكبيث
والتعجيز ملمح
في الخطاب
مبين

تعدد أوجه
الإيجاز بتعدد
أوجه المعاني من
بليغ الاستعمال

وقيل: في الآية إيجازٌ بديعٌ، شُبِّهَتْ حالةُ استبطانِ هذا الفريقِ الكفرَ، وإظهارِهم الإسلامَ على حَقٍّ، أو حالةُ تردُّدهم بينَ البقاءِ في المسلمينَ وبينَ الرُّجوعِ إلى الكُفَّارِ؛ بحالةِ المُغْتَاطِ ممَّا صنَعَ، فقيلَ لهم: عليكم أنْ تفعلوا ما يفعله أمثالكم منَ المُغْتَاطينَ، فامدُّوا حَبْلًا بأقصى ما يُمَدُّ إليه حَبْلٌ، وتعلَّقوا به في أعلى مكانٍ، ثم اقطَعُوهُ تَخِرُّوا إلى الأرضِ، وذلك تهكُّمٌ بهم، في أنَّهم لا يجدونَ غِنًى في شيءٍ منْ أفعالهم، وإنذارٌ باستمرارِ فِتْنَتِهِمْ في الدُّنيا معَ الخُسْرانِ في الآخِرَةِ⁽¹⁾.

بلغة التعريض في الآية الحكمة:

في قوله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾، تعريضٌ بالتنبيه لخلِّص المؤمنين ألا ييأسوا من نصر الله في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط⁽²⁾.

تنبيه المؤمنين
على عدم اليأس
من نصر الله
للبين

الفروق المعجمية:

المَدُّ والإِمْدَادُ:

المَدُّ والإِمْدَادُ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي أَنْ يَزَادَ فِي الشَّيْءِ مَا هُوَ مِنْ جَنْسِهِ، وَيُفْرَقُ بَيْنَهُمَا: بِأَنَّ الإِمْدَادَ يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْمَحْبُوبِ، نَحْوُ: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾⁽³⁾ [الطَّور: 22]، وَالْمَدُّ يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْمَكْرُوهِ، نَحْوُ: ﴿وَمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾⁽⁴⁾ [مريم: 79].

الإِمْدَادُ
يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا
فِي الْمَحْبُوبِ وَالْمَدُّ
فِي الْمَكْرُوهِ

الكَيْدُ وَالْمَكْرُ:

الْمَكْرُ مِثْلُ الْكَيْدِ فِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ تَدَبُّرٍ وَفِكْرٍ، إِلَّا أَنَّ الْكَيْدَ

الْكَيْدُ أَقْوَى مِنَ
الْمَكْرِ وَكِلَاهُمَا
مُسْتَعْمَلٌ فِي
السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 219 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 220 / 17.

(3) الزاغب، المفردات: (مدد).

أَقْوَى مِنَ الْمَكْرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، وَالْمَكْرَ يَتَعَدَّى بِحَرْفٍ، فَيَقَالُ: كَاذُهُ يَكِيدُهُ، وَمَكْرَ بِهِ، وَلَا
يَقَالُ: مَكْرُهُ، وَالَّذِي يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ أَقْوَى، وَالْمَكْرُ الْهَاقُ الضَّرَرِ بِالْآخِرِ دُونَ إِعْلَامٍ لَهُ بِهِ،
وَالْكَيْدُ إِيقَاعُ الْمَكْرُوهِ بِالْآخِرِ سِوَاءٍ عَلِمَ أَمْ لَا⁽¹⁾.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 508.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النजार»